حسبة الموازنة بين سلامة تُؤمِّنك وخطر يداهمك

الحسبة بسيطة، هي عبارة عن زائد أو ناقص، فالزائد جمع أطراف مؤشرات الحادث، كأنْ تشم رائحة غاز، أو آثار تماس كهربائي على المقابس (الأفياش)، أو صدور أصوات خفيفة، أو دخان بسيط من تحت الطاولات أو الأثاث. وتصوَّر ما شئتَ في هذا الباب.

تلك مؤشرات وغيرها تستجمعها بالحواس الظاهرة شمًّا أو رؤيةً أو ملمسًا أو ضيق تنفس وتستشعرها بحواسك الباطنة، فإنْ استظهرتها فاطرح منها إهمالك وغفلتك، فحاصلُ طرحها يساوي موازنة بين حالين: حالة أمان، وحالة خطر. فإنْ عرفتَ الخطر عرفتَ كيف تطوقه على مبدأ الأشياء تعرف بأضدادها، وفي ذلك فطنةٌ والفطنة دراية، فإنْ تولَّد في الإنسان شكٌّ بوجود خطر واستجمع أطرافه عمل على قطع دابره وقمعه، وفطن إلى أسبابه، وعرف كيف يعاجله ولا يؤاجله. وفي بعض الأمثال: الشك من حُسْن الفِطَن، فكُنْ فطنًا اليوم ؛ لئلاّ تكون صريعًا غدًا .

- طوِّقه قبل أنْ يُطوِّقك.
- سارعه قبل أنْ يسارعك.
- الجمه قبل أنْ يلجمك.
- رده قبل أنْ يرتدّ عليك.
- اردده قبل أنْ يرديك.

- عاجله قبل أنْ يعاجلك.
- الموازنة حسبة الشيء وضده ، فإنْ لم تعرف طبيعة الشيء فلن تعرف طبيعة علاجه، فالسلامة كما رددنا ضدها الخطر. ومن السلبية أنْ تترك الخطر يترعرع، ومن السلبية أنْ تتركه يستشري ولا تعمل على قمعه، فيأتي مرده وخيمًا على بيتك، تخسر أهلك وعيالك ومكان راحتك ومقام سكنك.
- لا تذهب كثيرًا مع بعض المقولات التي تحتمل التسويف، كأنْ يُقال: لكلِّ حادث حديث. كأنك بهذا تستبطئ وقوع الحوادث أو لا تحتمل وقوعها.

وتأجيل الحديث فيها حتى تقع عندها لا ينفعك قول لكل حادث حديث ، فبعضُ الحوادث كالحريق مثلًا لا يحتمل هذا القول بل يجانبه الصواب، منْ أخذ به ندم. أو ليس الندمُ شعورًا بالأسى؟ وإحساسًا بالأسف؟ وحسرةً على فقدان أرواح؟ أو تلف ما أشدت وبنيت؟ وما جمعته متفردًا مع متواليات الأيام؟ قد يضيع متجمعًا في سُويعات الثواني.

هكذا هي حوادث الحريق، من خصائصها أنها سريعة السريان، تلتهم ما يقع في محيطها، لا تبقي على شيء أتتْ عليه إلا جعلتْه رميمًا، وإنْ لم تدمِّر تتلف، وإنْ لم تتلف كليًّا فتلف جزئي وتعطيل، وما ينسحب على الأشياء ينسحب على الأشخاص، وإنْ تجاوزنا الماديات وإمكانية تعرضها، فإن الإصابات في الأرواح لا تُقاس بثمن، ويبقى أساها غائرًا في النفس مع الزمن.

مَنْ يا تُرى صنع هذا ؟

الإهمال، الغفلة، المشاغل، عدم الأخذ بالأسباب، التجاهل، الاسترخاء، برود الأعصاب، التكاسل، تأجيل ما يمكن عمله اليوم إلى غد، استبطاء وقوع الحوادث، كأنما التواني عن عمل المبادرة، أليس ألماً وندمًا وخسرانًا؟! ماذا تجلب لنا هذه أو تلك؟!

إذا أين يكمن الخلل؟

يكمن الخلل أن كثيرًا من الناس لا يتوقعون حريقًا في منازلهم ، فإذا وقع وأصابتنا فواجعه انتابنا الندم ، فما نفع الندم .